٢ – مع أن الباحثين حين سجلوا أن العينات التي حددوا بعثها هي «عينات احتمالية»، إلا أنهم، في سياق العمل الميداني، انتهوا إلى استقصاء «عينات مقصودة»، وسواء فرضت ذلك ظروف البحث أو غيره، فالحصيلة، هي أن الآراء المطروحة لا تمثل الرأي العام، حتى في اطار النسبة التي ذكرناها في الملاحظة الاولى: إذ أن اختيار «العينات المقصودة» يعني أن الباحثين استقصوا صواب افتراضاتهم من خطئها ممن أصلاً يقبلونها، وبهذا المعنى يصبح الاعتماد على نتائج البحث غير مجد إلا في حدود أخذ الاعتبارين السابقين (ملاحظة ١، ملاحظة ٢) في نظر الاعتبار.

٣ – جاءت النسبة الكبرى من الأسئلة التي طرحها الباحثون في «الاستبيان» أسئلة مغلقة (٦٨ سؤالاً من أصل ٨٢). والأسئلة المغلقة تقسر المبحوث على اجابات محددة افترض الباحثون أنها الرأي المتداول، وقد وضح من الاستجابات أن الأمر غير ذلك. فقد تبين من نتائج المقارنة التي قدمها الباحثون لاسس التوحيد السياسي، أن «نسبة ٢٦,٣٪» اقترحوا افتراضات أخرى لم يحددها الباحثون، بينما كانت أعلى نسبة في الاستجابات لافتراضات الباحثين ٢٦,٢٪» (راجع الفصل الثالث – مقارنة أسس التوحيد السياسي). وبهذا المعنى يمكن القول أيضا، أن هناك نسبة من القسر في نمط الأسئلة المغلقة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار، أن هذا النمط من استطلاع الآراء غير متداول في الوطن العربي، ولا يجوز للباحث أن يقصر طرح أسئلته على الآراء الشائعة، باعتبارها آراء عامة.

٤ – نلحظ تباينا واسعا بين استجابة المبحوثين لمسائل التوحيد والوحدة (النسبة الوسطية، ٧٨٪) وبين ما خلص إليه الباحثون في الفصل السادس عن التمحور «حول الذات الاقليمية». وقد سجلها الباحثون ظاهرة ملفتة للنظر، فكيف يمكن التوفيق بين النتيجتين؟ لكن الباحثين امتنعوا عن مناقشة الأمر وإجراء دراسة مقارنة بين النتيجتين، وتبيان ترجيح المبحوثين لأي منهما («الترشيد والقطرية»). ولن نجتهد في هذا المجال، إلا أننا نشير إلى خلل أساسي في الدراسة يجعل أيضا نتائجها مثار شك، وأقل جدوى.

٥ – ان الباحثين، على مدار البحث باستثناء الفصلين الخامس والسادس، سجلوا نتائج الاستقصاء، من غير الاشارة إلى نسبة المستجيبين إلى المبحوثين. أو ما إذا كان جميع المبحوثين قد استجابوا. وهذا أمر كان على الدراسة ان تتولاه كي تتضح النسبة في الاطار العام، إذ أن حجم الاستجابة، يقل أو يزيد من النسبة العامة، ولا نعرف ما إذا كانت النسب التي دونها الباحثون هي نسبة إلى المستجيبين في البحث أم نسبة إلى المبحوثين بشكل عام، ويثير تجاوز الأمر مصداقية البحث، إذا وضع في سياق الملاحظات السابقة (العينات المقصودة والأسئلة المغلقة).

أخيراً، بالرغم من ملاحظاتنا على الدراسة فإنها تبقى هامة كمدخل وفاتحة نحو نمط من البحث يفتقر إليه وطننا العربي، وهو ضروري لصياغة التركيب السياسي (بمعناه الشامل) للنهوض بهذا الوطن من جهة، ووضع الحلول التي تلقى الدعم الجماهيري، فكل وطن بإنسانه وله، وإلا كف عن أن يكون وطنا.

أحمد شاهين